

الاحد السابع عشر من زمن العنصرة

رومية ١٣ : ٨-١٤

لوقا ١٠ : ٢٥-٣٧

المحبة طريق الخلاص الابدي

نختتم مع هذا الاحد زمن العنصرة الذي يجدد فينا التزامنا بعيش ثمار الفداء في حياتنا المسيحية بنعمة الروح القدس. القراءات المقدسة تدعونا لعيش محبة الله والانسان، التي هي اعظم الوصايا وكمالها.

اولاً، القراءات المقدسة

انجيل القديس لوقا ١٠ : ٢٥-٣٧

وَإِذَا عَالِمٌ بِالتَّوْرَةِ قَامَ يُجَرِّبُ يَسُوعَ قَائِلاً: "يَا مُعَلِّمَ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟". فَقَالَ لَهُ: "مَاذَا كُتِبَ فِي التَّوْرَةِ؟ كَيْفَ تَقْرَأُ؟". فَقَالَ: "أَحْبِبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَكُلِّ نَفْسِكَ، وَكُلِّ قُوَّتِكَ، وَكُلِّ فِكْرِكَ، وَأَحْبِبِ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. إِفْعَلْ هَذَا فَتَحْيَا". أَمَّا هُوَ فَأَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، فَقَالَ لِيَسُوعَ: "وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟". فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: "كَانَ رَجُلٌ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ فِي أَيْدِي اللُّصُوصِ، وَعَرَوْهُ، وَأَوْسَعُوهُ ضَرْباً، وَمَضُوا وَقَدَّ تَرَكَوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ. وَصَدَفَ أَنْ كَاهِناً كَانَ نَازِلاً فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، وَرَأَهُ، فَمَالَ عَنْهُ وَمَضَى. وَلَكِنَّ سَامِرِيّاً مُسَافِراً مَرَّ بِهِ، وَرَأَهُ، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِ، وَدَنَا مِنْهُ، وَضَمَدَ جِرَاحَهُ، وَرَأَهُ، فَمَالَ عَنْهُ وَمَضَى. وَلَكِنَّ سَامِرِيّاً مُسَافِراً مَرَّ بِهِ، وَرَأَهُ، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِ، وَدَنَا مِنْهُ، وَضَمَدَ جِرَاحَهُ، سَاكِباً عَلَيْهَا زَيْتاً وَخَمِراً. ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَدَهَبَ بِهِ إِلَى الْفُنْدُقِ، وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْعَدِ، أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: إِعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَأَنَا أَوْفِيكَ عِنْدَ عَوْدَتِي. فَمَا رَأَيْكَ؟ أَيُّ هؤُلاءِ الثَّلَاثَةِ كَانَ قَرِيبَ الرِّجْلِ الَّذِي وَقَعَ فِي أَيْدِي اللُّصُوصِ؟". فَقَالَ: "الَّذِي صَنَعَ إِلَيْهِ الرَّحْمَةَ". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "إِذْهَبْ، وَاصْنَعْ أَنْتَ أَيْضاً كَذَلِكَ".

محبة الله من كل القلب والفكر والارادة، **ومحبة القريب** كمحبة الذات، هما الطريق المؤدي الى الخلاص والحياة الابدية. **محبة الله** تظهر في حياة الصلاة وحفظ وصاياه والعيش في مرضاته؛ **ومحبة القريب** تظهر في الاعمال والمواقف. لا يمكن الفصل بين محبة الله ومحبة القريب، لان من يحب الله حقاً، فانه حتماً يحب كل انسان. محبة الله هي بمثابة السبب والعلّة والمصدر لمحبة الانسان. اما محبة القريب فهي العلامة لمحبة الله. يقول يوحنا الرسول: "ان الذي لا يحب اخاه وهو يراه، لا يستطيع ان يحب الله وهو لا يراه. واذا قال: اني احب الله، وهو يبغض اخاه، كان كاذباً. فان لنا هذه الوصية: ان من يحب الله، يحب ايضاً اخاه" (١ يوحنا ٤: ٢٠-٢١).

ان جواب ذلك العالم بالتوراة مأخوذ من كتب العهد القديم، تنثية الاشتراخ: " **أحبب الرب الهك** من كل قلبك، وكل نفسك، وكل قدرتك" (تنثية ٦: ٥)، ومضاف اليه كلام من كتاب الاحبار: " **احبب قريبك كنفسك**" (احبار ١٩: ١٨). الرب يسوع في موضوع آخر اعطى هو نفسه هذا الجواب وقسمه الى وصيتين واضاف: " **لا يوجد وصية اخرى اعظم من هاتين الوصيتين**" (مر ١٢: ٢٩-٣١).

وعن سؤال عالم التوراة عن هوية القريب: " **ومن هو قريبي؟**" اختلف جواب يسوع عما جاء في التوراة التي نصت على ان قريبه هو رفيقه الاسرائيلي. بالمثل الذي اعطاه يسوع، " **قريبي**" هو كل انسان اعامله بالرحمة، بدءاً من عدوي. في المسيحية، " **قريبي**" لا يُحدد بصلة الدم او المواطنة او الشركة الدينية، بل بالموقف الذي يتخذه الشخص تجاه الآخرين. ثم جعل الرب يسوع ذاته قدوة في المحبة التي، وهي وصية قديمة، اصبحت معه وصية جديدة: " **احبوا بعضكم بعضاً، كما انا احببتكم**" (يو ١٥: ١٢).

والمحبة هي من صميم طبيعة الانسان. فالله الذي خلقه بحب، دعاه ايضاً ليحب. وهي دعوة اساسية، ومطبوعة في كيان كل انسان. في الواقع، الانسان مخلوق على صورة الله ومثاله (تك ١: ٢٧) الذي هو محبة (١ يوحنا ٤: ٨ و ١٦). واذا خلق الله الانسان ذكراً وانثى، وجمعها في سر الزواج، فاراد ان يصبح حبهما المتبادل صورة عن الحب المطلق غير المترعزع، الذي يحب به الله الانسان^١.

^١. كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ١٦٠٤.

ان محبة المسيح الفادي تحنّنت على البؤس البشري بكل اشكاله: الحرمان المادي، الاستضعاف الظالم، الامراض الحسية والنفسية واخيراً الموت، وهي كلها علامة لحالة الضعف لدى كل انسان. فحمل الرب هذا البؤس وتماهى مع من سمّاهم " اخوته الصغار". فاصبحت محبتهم تفضيلية في الكنيسة. وهكذا " قريبي" هو كل مصاب باي نوع من البؤس^١.
هذه هي الحضارة المسيحية المعروفة " بحضارة المحبة".

القديس بولس الرسول، في رسالته لهذا الاحد، يسمي شريعة المحبة ديناً: " لا يكن عليكم لاحد دينٌ إلا حبُّ بعضكم بعضاً. فمن أحب غيره أتمّ الشريعة" (روم ١٣ : ٨). ويضيف ان وصايا الله المختصة بالقرب: " لا تزن! لا تقتل! لا تسرق! لا تشته! واي وصية اخرى، تختصرها هذه الكلمة: احب قريبك كنفسك. ان المحبة لا تصنع بالقرب شراً. اذاً، فالمحبة هي كمال الشريعة" (روم ١٣ : ٩-١٠).

ثانياً، الرسالة العامة للبابا بندكتوس السادس عشر : المحبة في الحقيقة

دعا قداسة البابا في رسالته العامة الى تعزيز الانماء الانساني الشامل، ولاسيما الانماء الاقتصادي الذي له دور اساسي في ترقى الشعوب. ولذا، يدعو رجال الدولة الى تفكير جديد وعميق في معنى الاقتصاد واهدافه، هو الذي يرقر كافة الحقوق للمواطنين من اجل حياة لائقة بهم (راجع الفقرة (٢١).

في ندوة صحافية اقيمت في المركز الكاثوليكي للاعلام-لبنان، لتطبيق الرسالة البابوية في مجال الانماء الاقتصادي، كانت مداخلة عن سياسات الاستقرار الاقتصادي في لبنان^٢.
يوجد اربع مرتكزات لادارة الشأن الاقتصادي العام هي: سياسة صرف العملة؛ سياسة النقد والتسليف _ ويديرهما البنك المركزي؛ السياسة المالية وتديرها الحكومة بواسطة وزارة المال؛ سياسة الاستثمار وفرص العمل، تحضرها الحكومة ويشارك فيها القطاع الخاص.
نبّه قداسة البابا الى ان الاختلالات الاقتصادية تستدرج دوماً اثماً بشرية كبيرة كالبطالة والهجرة واليأس والتهميش. لقد أظهرت الندوة الصحافية اختلالات في سياسات الاستقرار في لبنان منها: ان سياسة سعر صرف الليرة اللبنانية، التي بدأت بتقويتها بين السنوات ٩٣ و ٩٦، ومن ثمّ ثبّتت سعرها ازاء الدولار الاميركي منذ سنة ١٩٩٦ حتى يومنا، قد تنكّرت لنظام اقتصاد السوق، ولضرورات خفض عجز الميزان التجاري، وزيادة حجم الاقتصاد وفرص العمل. ولقد اعتمدت النسب العالية للفوائد على الليرة اللبنانية كوسيلة اساسية لاستمرار تثبيت سعرها، مما زاد حجم خدمة الدين العام في الموازنات العامة المتتالية، وكذلك رقم الدين العام، وعطل الاستثمارات المنتجة في الاقتصاد، وتسبب بخسارة الكثير من احتياطات البنك المركزي، عندما كان يتدخّل داعماً السعر الثابت للعملة. وهكذا أضحت الودائع في المصارف تموّل الخزينة اولاً، ثمّ الاستثمارات الداخلية والتجارة الخارجية.

تضع الدولة اللبنانية يدها حالياً، في خزينتها والبنك المركزي، على ٦٧ مليار دولار اميركي من اصل اكثر من مئة مليار دولار، هي الودائع في المصارف، بينما لا يفيد القطاع الخاص سوى من ٢٦ مليار دولار، بشكل قروض، بما فيها القروض الشخصية المتنامية.

ان الرسالة العامة للبابا بندكتوس لا تحبّد استخدام المورد المالي لمنفعة قصيرة المدى، كالأفادة من الفوائد، واعتماد اقتصاد الربح مثلاً، بل للأفادة منه على المدى البعيد، اي المضي في الاستثمار المنتج خصوصاً في الزراعة والصناعة، الذي يوقر فرص العمل ويساهم في تطوير الاقتصاد والمجتمع والانسان.

وتذكر الرسالة البابوية بضرورة الجمع الدائم بين العمل السياسي والمعرفة الاقتصادية.

^١ كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٤٤٨.

^٢ جرت الندوة الثلاثاء ١٥ حزيران ٢٠١٠. راجع مداخلة الدكتور ايلي يشوعي.

ثالثاً، تحضير جمعية سينودس الاساقفة الخاصة بالشرق الاوسط

نتناول من " اداة العمل" القسم الثاني من " الشركة الكنسية"، وهو بعنوان: الشركة بين الاساقفة والاكليروس والمؤمنين (الفقرات ٥٧-٦١).

على مستوى الكنيسة البطريركية، تظهر الشركة وتتحقق في سينودس الاساقفة حول شخص البطريرك الذي هو ابو ورأس كنيسته. وعلى مستوى الابرشية تتم الشركة حول اسقفها، اذ تجمع حوله الكهنة والرهبان والراهبات والمؤمنين العلمانيين. تتحقق الشركة في ثلاثة: الصلاة معاً، والاحتفال بسرّ الافخارستيا، والاصغاء المشترك لكلمة الله.

يحتاج المؤمنون، لكي يعيشوا هذه الشركة الكنسية، ان يجدوا عند الكهنة والمكرسين والمكرسات لاتباع المسيح عن قرب، النموذج والمثال في عيشتهم القيم الانجيلية بامانة، وفي حياة البساطة والتجرّد عن المال والرفاهيات الدنيوية، وفي حياة الطهارة المشرقة.

ولا بدّ من ان نعود الى نموذج الجماعة المسيحية الاولى التي كانت تعيش قلباً واحداً وروحاً واحداً، مواظبين على تعليم الرسل وكسر الخبز -القداس، وتقاسم ما كانوا يملكون (راجع اعمال ٤ : ٣٢-٣٤). على هذا النموذج ينبغي ان تتكوّن الجماعة في الرعية.

على المؤمنين العلمانيين ان يقوموا بدورهم كمعمّدين مشاركين في حياة الرعية ورسالة الكنيسة بالاتحاد مع رعاتهم، الاسقف وكاهن الرعية. ويُطلب من الكهنة تشجيع العلمانيين على الالتزام، واحترام التزامهم. ويجب على المنظمات الرسولية ان تعزز هذه الشركة وتعيشها مع الجميع في اطار الرعية والابرشية.

صلاة

ايها الرب يسوع، محبة الله المتجسّدة، علمنا المحبة التي هي على مثال السامري الصالح. وحدها تقربّ الناس والشعوب وتجعلهم عائلة الله الواحدة. اعطنا ان ندرك ان الانسان يكون انساناً بمقدار ما يعيش المحبة لله من كل القلب والفكر والارادة، والمحبة لقريبه الانسان، حبه لنفسه، ألهم المسؤولين المدنيين عندنا ليحسنوا خياراتهم السياسية والاقتصادية من اجل تحقيق الانماء الاقتصادي كعنصر اساسي في الانماء الانساني الشامل. ايها الروح القدس رافقنا بانوارك في تحضير جمعية سينودس الاساقفة الخاصة بالشرق الاوسط، لكي نستنبط افضل الوسائل لشدّ اواصر الشركة بين الاساقفة والاكليروس والمؤمنين. فنرفع المجد والتسبيح للثالوث المجيد، الآب والابن والروح القدس، الآن والى الابد، آمين.
